

**** مقدمة ****

ارتبطت نشأة البنك وتطوره بتطور الحياة الاقتصادية للمجتمعات، إذ أن أول شكل من أشكال البنوك ظهر في بلاد الرافدين سنة 3500 ق.م، وتعتبر المبادئ التي وضعها حمورابي عام 1675 ق.م ، من أقدم النصوص المعروفة في التاريخ فيما يتعلق بتنظيم عمليات الإيداع والتسليف والفوائد والضمانات المرتبطة بها.

وبتقدم التجارة بين الشعوب وظهور النقود كأحدى الوسائل الهامة في التبادل التجاري، فقد بدأت ظاهرة إيداع الفائض منها، بالإضافة إلى التعامل بالحلي والمعادن الثمينة كودائع مقابل حصول هؤلاء على عمولة نظير حراستها والمحافظة عليها، وتعتبر هذه الظاهرة من أولى أشكال التعامل المصرفي في المجتمع حيث استمرت حقبة من الزمن حتى ظهرت في القرون الوسطى ظاهرة الصراف الذي كسب دخله من مبادلات العملات بعضها ببعض بين رجال البحارة والتجار الذين كانوا يترددون على موانئ أوروبا الجنوبية.

ومع تطور الزمن لاحظ رجال البنوك أن نسبة صغيرة من شهادات الإيداع تعود إليهم للمطالبة بتحويلها إلى نقود أو لتحويلها إلى الأشياء التي تماثلها، ومن ثم تبقى لدى هذه البنوك مبالغ نقدية كبيرة خاملة، حيث رأى رجال البنوك إمكانية التصرف بها بإقراضها للغير، وبضمانات معينة، مقابل حصولهم على فائدة معينة، دون الإخلال بمبدأ الثقة بينهم وبين المودعين، طالما أنه في وضع يسمح له بالوفاء بطلبات المودعين.

ويسمى الجزء من الأموال الذي لم يتم التصرف فيه بالاحتياطي النقدي، وهو يمثل نسبة معينة من الودائع التي يلتزم بها البنك إزاء عملائه حين طلبهم استرداد ودائعهم، وفي هذه الحالة جمعت البنوك بين وظيفتين وهما: قبول الودائع والإقراض معاً، ثم تطورت هذه الأعمال وظهرت أشكال أخرى عديدة من التعامل المصرفي، حتى وصل إلى ما نعرفه عنها اليوم من تطور ومكانة في الاقتصاد الوطني لجميع البلدان .

ويذكر المؤرخون أن أول بنك ظهر بشكله الحديث كان بمدينة البندقية عام 1557 م، وفي 1587 ظهر بنك آخر هو بنك رياتو بمدينة البندقية، ومنها انتشرت البنوك في بقية أوروبا ومنها بنك

أمستردام في هولندا عام 1609، وبنك هامبورك في ألمانيا عام 1619 م، وبنك إنجلترا عام 1694، وبنك فرنسا الذي أسسه نابليون الأول عام 1800.

وقد عرف العرب قبل الإسلام النشاط المصرفي حيث يشير المؤرخون أن مكة قبل الإسلام وصلوا إلى درجة عظيمة من التبادل التجاري وكان اعتماد الروم عظيماً على هذا التبادل، وظهرت تخصصات في الإنتاج التبادلي مثل تبادل تمور البحرين مقابل الزيت والزبيب والخمور من الشام وعرفت مكة آنذاك استثمار الأموال بطريقتين:

الأولى : وهي إعطاء المال مضاربة على حصته من الربح.

والثانية : هي الإقراض بالربا الذي كان شائعاً في الجاهلية بين العرب أنفسهم وبينهم وبين اليهود.

وجاء الإسلام فحرم الربا وأبقى ما عداه من التعاملات التجارية لكن أسباب التخلف التي حلت بالبلاد الإسلامية قد أدت إلى قطع كل صلة بما كان قائماً ومعروفاً من أشكال التعامل المصرفي القديم وخضع الشرق للغرب المستيقظ من العصور الوسطى حتى فجره الجديد .

هذا وقد ساهم تنوع العمليات الاقتصادية والمبادلات التجارية في تنوع وتعدد العمليات المصرفية، مما استدعى تخصص البنوك في أنواع معينة من العمليات، فظهرت البنوك المتخصصة. وعليه سيتم التطرق في هذا المحور للجانب المفاهيمي للبنوك من حيث تعريفها ووظائفها، وبيان مختلف العمليات والخدمات التي تقوم بها.